مدينة غزة: قصة حياة

ليست كباقي المدن، كتلة أسمنتية صماء ولكنها تتكلم عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عن بطولاتها في طرد الغزاة، عن صمودها وشموخها وكبرياء رجالاتها.

مدينة غزة: الجغرافيا والديموغرافيا والتاريخ

تبلغ مساحتها 56 كيلومتر مربع وتعداد سكانها 625.000 ألف نسمة، أكثر من نصفهم لاجئون طردهم الاحتلال الإسرائيلي من أراضيهم عام 1948، فكانت مدينة غزة إحدى المدن الفلسطينية التي فتحت أبوابها لهم، فأصبحت مدينة غزة من أكثر المدن في العالم اكتظاظًا بالسكان.

حجارتها وأزقتها تحدثنا عن تاريخها، كيف لا وهي من أقدم مدن العالم، تنظر لمعالمها فتكتشف تاريخ غزة، ولد فيها الإمام الشافعي، ويحتضن ترابها ضريح السيد هاشم بن عبد مناف جد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي توفي في غزة أثناء رحلته التجارية، رحلة الصيف، وسميت غزة هاشم باسمه.

تنظر للمسجد العمري، أقدم وأعرق مساجد مدينة غزة، تبلغ مساحته 4100 متر مربع، ومساحة فنائه 1190 متر مربع، يحمل 38 عمودًا من الرخام الجميل والمتين البناء، والذي يعكس في جماله وروعته إبداع الفن المعماري القديم في مدينة غزة.

جامع العمري كان كنيسة أنشأها أسقف غزة برفيريوس على نفقة الملكة أفذوكسيا وعندما فتحت غزة أيام الخليفة عمر بن الخطاب، جعلت هذه الكنيسة جامعًا.

سمي بالجامع العمري نسبة إلى الخليفة عمر رضي االله عنه، وبالكبير لأنه أكبر جامع في غزة، وقد أنشأ له، لاجين، سلطان المماليك بابًا ومئذنة سنة 697هـ/ 1281م، وقام بتوسعته الناصر محمد، وعمر في العهد العثماني.

لكل شارع بغزة القديمة قصة ورواية، قد لا يتسع المجال لذكرها، والفنون المعمارية تعكس حضارتها وتراثها، وتجعلها تنطق وتتكلم، فعلى سبيل المثال هناك قصر الباشا الذي يعود إلى العصر المملوكي، وحمام السمرة وهو أحد الحمامات العثمانية ويعمل حتى يومنا هذا، وسوق القيسرية، وكنيسة الروم الأرثوذكس والعديد من المساجد الأثرية.

تكتسب مدينة غزة أهمية بالغة نتيجة لموقعها الجغرافي الحساس عند ملتقى قارتي أسيا وأفريقيا، الذي منحها أهمية إستراتيجية وعسكرية فائقة، فهي الخط الأمامي للدفاع عن فلسطين، بل والشام، وكان لموقعها المتقدم دور عظيم في الدفاع عن العمق المصري في شمالها الشرقي، وجعلها ميدان القتال لمعظم الإمبراطوريات في العالم القديم والحديث، وهي: الفرعونية، والآشورية، والفارسية، واليونانية، والرومانية ثم الصليبية، وفي الحرب العالمية الأولى.

كما أن موقع مدينة غزة عند خط التقسيم المناخي، على خط عرض (31.3) درجة شمال خط الاستواء جعلها تحتل الموقع الحدّي بين الصحراء جنوبًا، ومناخ البحر المتوسط شمالاً، وعليه فهي بين إقليمين متباينين منحها ذلك دور "السوق" التجاري النابض بالمنتجات العالمية، الحارة والباردة منذ أقدم العصور.

مدينة غزة الحاضر والمستقبل

تعرضت مدينة غزة لاستهداف مباشر في الحروب الإسرائيلية المتتالية، ولكن في عدوان العصف المأكول ارتكبت إسرائيل مجزرة دموية كبيرة يوم الأحد الموافق 20 يوليو 2014، فقد أزالت إسرائيل حي كامل من الخريطة، ومسحت عائلات بأكملها من السجل المدني، إنها مجزرة الشجاعية التي راح ضحيتها أكثر من سبعين شهيدًا، ورغم الألم إلا أن الأمل مازال قائمًا، ونهضت الشجاعية من تحت الركام، وسطرت المقاومة في هذا الحي وباقي أحياء المدينة أروع معاني البسالة والتصدي والفداء، وأفشلت كل مخططات إسرائيل باقتحام الحي، وتكبدت إسرائيل خسائر فادحة أهمها خطف الجندي الإسرائيلي شاؤول أرون.

لم ولن تسقط غزة، فرغم الحصار والدمار مازالت غزة شامخة شموخ الجبال، ومازال شعبها من أكثر الشعوب الداعمة والحاضنة للمقاومة، والطاردة للغزاة عبر التاريخ، وعليه تتجه عيون الغزيين صوب القدس عاصمة الدولة الفلسطينية، ولديهم يقين أنهم منتصرون على أطول احتلال عرفه التاريخ المعاصر وهو الاحتلال الإسرائيلي.

مهما كتبنا عن غزة فلن نعطها حقها، فبحرها الهادر يتكلم، ودموع نسائها التي يودعن فلذات أكبادهن تشكل وقود للتحرير، ففي غزة حياة من نوع آخر لا يعرفها إلا سكانها، في غزة تكافل يذكرنا بسيرة الصحابة، وبغزة بيوت مهدمة مهترئة ولكنها في عيون أبنائها هي الأمل بمستقبل أفضل.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/6276/